الرواية الإسلامية ومجالات الالتزام

الأستاذ رشيد اركيبي - المغرب

كلية الآداب - الجديدة

إن المتأمل في حصاد الدرس التحليلي الروائي، يسهل عليه ملاحظة هيمنة تيارات ومذاهب نقدية لسانية وبنيوية موغلة في الاهتمام بدراسة شتى المظاهر الفنية والشكلية للنص الإبداعي، متجاهلة ما يعكسه النص من حمولة فكرية ورؤية تصورية، ربما كانت هي الأساس وراء إنتاج النص الإبداعي، ومؤسسة في الوقت ذاته، لتلك القطيعة المفتعلة بين مضمون العمل الأدبي وصورته التعبيرية.

وأمام هذا الإجحاف في حق بنية النص الإبداعي ورؤية مبدعه التصورية، كان لابد من تدارك هذا الأمر والالتفات مرة أخرى إلى حقيقة الخطاب الإبداعي في شموليته التي تستوعب الصورة التعبيرية استيعابها للموقف الفكري والرؤية التصورية لصاحب النص.

إن أغلب الدراسات التي أفلتت من ضغط النزعة الشكلية واللسانية واهتمت برؤية الكاتب، لم تفلح مع ذلك في تقديم قراءة نقدية تحليلية لكافة الاتجاهات الالتزامية، بل تقوقعت داخل إطار الالتزام بمفهومه الاشتراكي،متجاهلة باقي الاتجاهات الأخرى وعلى رأسها الاتجاه الالتزامي الإسلامي.

إزاء كل هذه الحيثيات كان لابد من إعادة الاعتبار لقضية الالتزام في الرواية، وخاصة الرواية الإسلامية، والاهتمام بهذا الموضوع من خلال دراسة جادة ومستوعبة لكافة إشكالاتها وأسئلتها.

وابتداء يمكن القول: إن مصطلح الالتزام وإن كان في أصله مصطلحا فلسفيا يعني اعتناق وجهة نظر في الحياة يدافع عنها الفيلسوف، ويدلل عليها بكل الوسائل الفكرية

obeikandl.com

والجدليــة التي يحوزها، فإنــه مع ذلك أكثر ما يكون وضــوحا وتحديدا في ميدان الأدب، حيث يعني مشاركة الفنان في شؤون عصره ومجتمعه مشاركة فعالة ونابعة عن وعي تام، أي أن الأديب الملتزم يجب أن يحمل في طواياه رؤية الفنان لقضــايا عصــره وأن تكون له رســالة وغاية، وينبغــي ألا يعيش في برج عاجي، بل إن ثمة علاقــة تفاعل بالتأثير والتأثر قائمــة بينه وبين مجتمعه. فإنه لا وجــود لأديب أو فنان – مهما حاول ادعاء ذلك- يعيش بمعزل عن واقعه ومجتمعه. فأن تكتب - يرى ج.ب.سارتر- يعني أن تتحدث، وأن تتحدث يعني أن تكشف عن جانب من العالم بهدف تغييره. الأدب إذن هو نتيجة لموقف من العالم سواء أكان عن وعي أو عن غير وعي.[1].

وعلى العموم، فقد شــكلت علاقة الفن بالمجتمع والحياة، باعتبارها لب فكرة الالتزام وجوهرها، مثار اهتمام أغلب الأدباء على مر العصور، وراح كل منهم يعبر عن هذه العلاقة، ويترجم آفاقها بلغة إبداعية متميزة، يتناغم معها الهم الذاتي بالبعد الموضوعي،على نحو مــن التكثيف الجمالي الفني بالدلالات الاجتماعية والواقعية، مما ارتقى بوظيفة الفن من مجرد وظيفة جمالية خالصــة إلى وظيفة رســالية تروم التغيير نحو الأفضــل، ولن تتبلور فكرة الالتزام بوضوح إلا مع بروز الفلسفتين الواقعية والوجودية اللتين منحتا فكرة الالتزام في مجال الأدب شحنة قوية عن طريق صياغة منظومة فكرية ونقدية متوازنة تنأى بالأدب عن الشطحات الرومانسية الحالمة والذاتية المفرطة لتنزل به إلى أرض الواقع.

ولم يشذ أدبنا العربي الحديث، ومنه أدبنا الإسلامي المنطلق من الرؤية الإسلامية، عن هذه القاعدة، وخاصة عند مطلع القرن العشرين وما تلاه من عهود اتسمت بمخاض سياسي واجتماعي شامل يروم تنمية المجتمع وتحديثه انطلاقا من نزعات فكرية مختلفة، إذ ســرعان ما تشكلت ســمات وآفاق فكرة الالتزام، واستقطبت نحوها كثيرا من الأقلام النقدية والإبداعية المختلفة، والتي جد أصــحابها في منح الأدب فعالية جديدة في مســار الصراع ضد عوامل الجهل والتخلف والاستبداد.

فقد جد، حينها، ثلة من أقطاب التيارات الفكرية والأدبية العربية المختلفة وأتباعها، في بلــورة رؤيــة التزامية تنظر لخطــاب أدبي عربي ملتزم مســؤول وجــاد. وكان الاتجاه

(1) J.P.SARTER": Situation 2 p": 185. Ed": Gallimard - Paris": 1975

الإسلامي أحد هذه الاتجاهات الالتزامية التي قدمت رؤية التزامية متوازنة تنطلق أساسا من الرؤية الإسلامية باعتبارها مرجعية أساسية، توجه كل الجهود وتحدد مختلف المعالم الرامية إلى إنتاج عمل أدبي ملتزم، يعالج مختلف قضايا الحياة والمجتمع والتاريخ.

وقد بدأ الاهتمام بالموضوعات والقضايا الإسلامية في أدبنا العربي منذ وقت مبكر، وتحديدا عند مطلع القرن التاسع عشر، وتكرس هذا الاهتمام على الخصوص لدى جيل النهضة والإحياء الذين جدوا في تضمين أعمالهم الشعرية والنثرية كثيرا من القضايا والموضوعات الإسلامية التي تهم واقع العالم العربي والإسلامي، وكل ذلك انطلاقا من قناعات دينية استقوها من الوعي الديني الإيجابي الذي كان قد نشره معظم رواد الإصلاح الفكري والاجتماعي حينئذ انطلاقا من جمال الدين الأفغاني ومرورا بمحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم...

ومن أهم القضايا التي شغلت بال أدباء النهضة حينئذ:

- قضية الخلافة الإسلامية ودورها في جمع كلمة المسلمين والذود عن حياضهم.
- قضية الهوية الإسلامية وما يتعلق بها من قيم دينية ولغة عربية.
- قضايا الواقع الاجتماعي وما ارتبط به من أمور تمس معاش الناس ومشاكلهم الاجتماعية المختلفة، وتوقهم إلى بناء مجتمع العدالة والمساواة والحرية انطلاقا من المرجعية الدينية.

وستتوالى جهود الأدباء عبر عقود القرن العشرين في مجال الاهتمام بالفكرة الإسلامية، وجاء هذا الاهتمام نتيجة طبيعية للظروف العصيبة التي واجهت المجتمع من جراء التمزق السياسي، والصراع الحزبي، وفساد السلطة، وهيمنة الأجنبي على مقدرات البلاد.. إضافة إلى ظهور بعض التنظيمات السياسية المعادية للدين، فكان الاتجاه إلى التاريخ العربي والإسلامي من بعض الأدباء تعبيرا عن إحساس بالانتماء القومي، ومحاولة للبحث عن الخلاص، وإيمانا بالفكر الإسلامي الأصيل وقدرته على حل معضلات الحياة[1]. فوجدنا أعمالا قصصية عديدة لعدد كبير من الأدباء كان عبد

(١) صفوت يوسف زيد: التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار، ص ٢٢، الهيأة العامة المصرية للكتاب.

الحميد جودة السحار في مقدمتهم، وصدر علي أحمد باكثير في معظم إنتاجه عن هذا الاتجاه نفسه، واهتم محمد سعيد العريان بالتاريخ العربي، وبعده محمد عبد الحليم عبد الله خاصة في روايته "البحث عن الحقيقة".

وامتد هذا الاهتمام بالتاريخ الإسلامي إلى فترة ما بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر، ولدى بعض الكتاب اليساريين الاشتراكيين من أمثال فتحي رضوان الذي كتب عن شخصية النبي في " الثائر الأعظم"، وكتب الشرقاوي "محمد رسول الحرية"، وغيرهما من الكتاب الذين شدهم التاريخ الإسلامي بكل ما يحفل به من بطولات وأمجاد.

لكن هذا الاهتمام بالموضوعات والقضايا الإسلامية في المجال الروائي تقلص واندثر مع مرور الوقت، وهيمنة النزعات العلمانية والماركسية على الساحة الثقافية العربية منذ منتصف القرن العشرين، وانحصر في خانة الرواية التاريخية ولدى قلة من الروائيين الذين استمروا في الاغتراف من التاريخ الإسلامي، بينما اتجه باقي الروائيين في صياغة أعمالهم الروائية انطلاقا من فلسفات اجتماعية وواقعية مادية وماركسية مختلفة وأبعد ما تكون عن تمثل الرؤية الإسلامية.

ولن يكون من المبالغة في شيء – ترى سماح إدريس – الزعم بأن الرواية العربية في العقود الثلاثة الأخيرة أثبتت أنها رواية علمانية... فالإسلام لايقدم لشخصيات الرواية العربية أكثر من عزاء فردي، أو أكثر من مقياس يقيسون به راهنهم المظلم، وينتقدونه، كما أنه شذ أن وجدت شخصية روائية في المؤسسات الدينية أداة تغيير سياسي واجتماعي، بل إن تلك المؤسسات قد اعتبرت في الأعم الأغلب نصيرة الوضع القائم[١].

ولم تعد الصبغة الإسلامية إلى بعض الأعمال الروائية إلا على يد أبناء الصحوة الإسلامية، انطلاقا من خمسينات القرن العشرين، حيث وجدت ثلة من الكتاب ذوي الاتجاه الإسلامي في بلورة نظرية التزامية إسلامية، انطلاقا من حقيقة الرؤية الإسلامية، فقد اعتبروا التزام الأديب بمعالجة قضايا واقعه، وأداء رسالة اجتماعية هو استجابة حتمية لمعطيات الرؤية الإسلامية، التي يستحيل عليها أن تبقى مجرد شعور

(١) المثقف العربي والسلطة : دار الآداب – بيروت، ط١ – ١٩٩٢، ص ١٧٤ ٣

وجداني في أعماق الضمير، إنه لا بد لها أن تندفع لتحقيق ذاتها في عالم الواقع، ولتتمثل حركة إيجابية إبداعية في عالم المنظور، حركة تبدع الحياة كلها، وما ينشأ عنها من ألوان وأطياف.

ومن ثم – يؤكد سيد قطب – أن الأدب والفن المنبثق من التصور الإسلامي، أدب أو فن موجه، بحكم أن الإسلام حركة تطويرية مستمرة للحياة، فهو لا يرضى بالواقع ولا يبرره أو يزينه لمجرد أنه واقع. فمهمته الرئيسية هي تغيير هذا الواقع وتحسينه، والمقصود بالأدب الموجه، ليس التوجيه الإجباري، إنما المقصود به أن تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة، هو وحده سيلهمها صورا من الفنون متناغمة مع طبيعة التصور الإسلامي للحياة[١].

ومن ثم كان صدور الأديب المسلم عن رؤيته الإسلامية، يعني منطقيا صدوره عن رؤية ملتزمة تشده أكثر إلى واقع الناس، وقضايا المجتمع، وتوقفه على حجم وحقيقة مسؤوليته في توظيف الكلمة المعبرة ضمن خدمة محيطه، وكل ذلك يتم عفويا ودون إكراه أو إلزام.

و يضيف محمد قطب أنه:لا يمكن أن يكون التزام الأديب المسلم التزاما بالمعنى الضيق، فهو لا يلتزم "بمذهب معين" ولا هو كذلك يدعو إلى فكرة معينة بطريقة الوعظ والدعاية المباشرة، إنما هو يلتزم فقط بمجاراة الناموس الكوني في جماله وتناسقه وتوازنه، ويهدف إلى إنشاء إنسان صالح ومجتمع صالح[٢].

ويرى أحمد بسام ساعي أن الالتزام الإسلامي لا يعني أن يعيش الأدباء المسلمون إحساسا واحدا، واهتمامات متشابهة وعواطف وتصورات وانفعالات نفسية واحدة، فوحدة الفكر لاتعني أبدا وحدة الفن، وبلغة أخرى "مسخ الفن" فالأديب أولا ابن ذاته، والمحاولة المتحققة من لقاء الاقتناع الإسلامي أو العقيدة الإسلامية بالذات الإنسانية ستتفجر حتما في شكل فني جديد وخيال جديد وممارسات فكرية جديدة[٣].

(١) النقد الأدبي مناهجه وأصوله، ص ٢١٦، دار الشرق – بيروت.

(٢) منهج الفن الإسلامي، ص ٢١٨، الطبعة ٦ ، دار الشروق- بيروت.

(٣) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ص ٢٢١، دار المنارة – جدة.

وقد عمل أغلب رواد ومريدي هذا الاتجاه الإسلامي الحديث في الأدب على ترجمة هذه الرؤية الالتزامية بقضاياها المتفرعة عنها، عبر إنتاجات إبداعية عديدة في الشعر والقصة والرواية والمسرح، فضلا عن اضطراد عملية التنظير النقدي والأدبي لديهم لما أسموه بنظرية الأدب الإسلامي الحديث.

وفي المجال الروائي - موضوع بحثنا- لمعت أسماء ثلة من الكتاب الذين انطلقوا من رؤيتهم الإسلامية، لصياغة أعمال روائية عديدة ملتزمة بمعالجة قضايا الواقع والمجتمع، وحافلة بشتى المواقف الإيجابية التي تنشد التغيير وإعادة بناء المجتمع وفق مبادئ جديدة تستند إلى الرؤية الإسلامية، ونذكر منهم، نجيب الكيلاني، وعماد الدين خليل، وعبد الله عيسى السلامة... وغيرهم كثير من أبناء الصحوة الإسلامية الحديثة.

ويمكن اعتبار كل من علي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار أبرزكتاب التيار الإسلامي في مرحلته الريادية الأولى. فقد حاول باكثير بلورة رؤية التزامية إسلامية جادة، واضحة المعالم، تتبنى مختلف القيم والمبادئ الإسلامية الداعية إلى الأخوة والمساواة وإحقاق العدالة الاجتماعية الشاملة. وقد اتكأ الكاتب في معظم ما كتبه من أعمال إبداعية على التاريخ الإسلامي بمختلف حقبه وأعلامه، وركز على لحظات الانتصار تركيزه على فترات الانكسار، لاستنباط العبر والعظات الكفيلة برد الشعوب الإسلامية إلى سالف عزها ومجدها الغابرين.

وفي المجال الروائي، قدم لنا باكثير أربع روايات تاريخية، تنطق برغبة أكيدة من الكاتب في استثمار المعطى التاريخي، خاصة الإسلامي منه، لتقديم قراءة نقدية اجتماعية لقضايا الواقع الحاضرة، وتذكير المسلمين بصور مشرقة من كفاح أجدادهم وصد عدوان الغاصبين.

فكتب "وإسلاماه"، وانتقى لها أحداثا وشخصيات تاريخية غنية بالمواقف الإيجابية والحافزة لأبناء الحاضر على التغيير، وضرورة إعادة بناء المجتمع وفق الأسس والمبادئ الإسلامية التي استطاعت – وبشهادة التاريخ – أن تنشئ أمة قوية وذات إشعاع حضاري امتد لعدة قرون.

وكان عبد الحميد جودة السحار أيضا كاتبا إسلاميا بامتياز، يستلهم رؤيته الفكرية وزاوية نظره في معالجة قضايا الواقع والمجتمع، انطلاقا من المعطيات الدينية الإسلامية؛ وظل على امتداد أغلب أعماله مؤمنا بالفكرة الإسلامية، وداعيا إلى الالتزام بمبادئها المختلفة.

وأوضح ما تتجلى رؤية السحار الإسلامية، في أعماله التاريخية المختلفة، والتي شملت مختلف عهود التاريخ العربي والإسلامي قديمها وحديثها. وقدم السحار من خلالها نماذج لشخصيات إيجابية نابضة بالحياة وبالمواقف المشرقة، وشاهدة على قوة وأصالة المبادئ الإسلامية وقدرتها المتجددة على مد كل الأجيال بكل حوافز التغيير نحو الأفضل، فمن العهد الإسلامي الأول قدم "أبو ذر الغفاري ١٩٤٣"، و"سعد بن أبي وقاص ١٩٤٥"، و"بلال مؤذن الرسول ١٩٤٤"، و "أبناء أبي بكر الصديق ١٩٤٦". ومن التاريخ الحديث قدم " قلعة الأبطال ١٩٥٤" و"السهول البيض١٩٦٥". وفي كل هذه الأعمال عرض صورا مشرقة للحياة الاجتماعية التي عاشها العرب والمسلمون في ظل كفالة الدين ومثله العليا ونماذجها الراشدة وأبطاله الذين ساسوا الناس بالعدل وقاوموا الظلم.

كما حاول السحار أن يقدم البديل الأمثل للإنسان المعاصر، والحلول العملية لصلاح حال الحياة، مستوعبا مشاكل الإنسان وهمومه، وإيحاء وتلميحا منه بضرورة التغيير على أساس من هداية الدين ومبادئه، واقتداء بجهاد أبطاله.

وعلى أساس هذا الفهم تكون رؤية السحار الفنية والفكرية نابعة من إيمان يقيني بالقيم التي قدمها، وقدرتها على التغيير في المجتمع المعاصر. ومن ثم تكون هذه الرؤية موصولة بالتاريخ ومرتبطة بالواقع الاجتماعي والقومي التي عاشه الكاتب[١].

ويعد نجيب الكيلاني بحق رائد الاتجاه الإسلامي في أدبنا العربي الحديث، وأحد أهم وأغنى الأصوات الإسلامية التي ساهمت في بلورة رؤية التزامية إسلامية شملت مختلف المجالات الأدبية والنقدية والإبداعية، وذلك من خلال مجموعة من الدراسات النقدية التنظيرية في مجال الأدب الإسلامي الحديث، والأعمال الروائية والقصصية والمسرحية

(١) صفوت يوسف زيد – م. س. ص ٦٤-٦٥.

والشعرية التي عكست في مجملها، رؤية إسلامية واضحة ومعبرة، فضلا عن إسهامات أخرى كثيرة في مجال الفكر والدعوة الإسلاميين، والتوعية الصحية، وخلاف ذلك.

ويعد الكيلاني الالتزام جزءا من طبيعة الإسلام "ومسؤولية من مسؤوليات الأدب الإسلامي الكبيرة والكثيرة، وطريقة من طرائقه في التواصل بين الإسلام وبين البشر قاطبة"(١).

لكن الكيلاني، مع ذلك لا يفهم الالتزام بالإسلام، على أساس أنه إلزام، أو تقييد لحرية الكاتب، وتوجيه لمواقفه. فالالتزام "ليس قيدا على الأديب، إذ إنه أساسا ينبع من معتقداته.. أو من موقفه الذاتي.

ومجال الالتزام للأديب المسلم مجال رحب.. فالأديب المسلم حين يعالج مشكلة الفقر.. أو يعالج أزمة نفسية، أو حدثا عاطفيا، أو قلقا فكريا، فهو بذلك لم يخرج عن دائرة الالتزام بمعتقدات إسلامية، كل ما في الأمر أنه يعالجها من وجهة نظره التي هي وجهة النظر الإسلامية التي اقتنع بها (عن طواعية) وتشربها"(٢).

فالالتزام حسب منظور الكيلاني يقوم على علاقة ثلاثية جدلية بين الأديب والرؤية الإسلامية والواقع، وما يطبع هذه العلاقة هي الاقتناع والتلقائية بين الأديب ورؤيته، فهو الذي اختار الرؤية، واقتنع بمعطياتها.

ومن هنا يدفع الالتزام بمفهومه الإسلامي، الأديب المسلم، على المشاركة في بناء أو إعادة بناء المجتمع، ويجعل له دورا وظيفيا حساسا يجاوز مجرد الوصف الموضوعي إلى التبشير عبر الأفق، بسبل الخلاص.

وقد بدأ الكيلاني رحلته الالتزامية من المجال التاريخي حيث أبدع العديد من الأعمال الروائية التي تعكس رغبته في استثمار معطيات التاريخ، على نحو من الإيجابية والفاعلية التي من شأنها إحداث هزة لدى الأمة في عصرنا الحاضر لتعالج واقعها المتردي على ضوء تجارب الأمم السابقة.

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي – مؤسسة الرسالة، بيروت – ص ٨٥٨

(٢) نفسه – ص ٢٢.

obeikandl.com

وأكـد الكيـلاني على هذه الرغبة في أكثر من سـياق، فالأديب الإسـلامي حين يتناول موضـوعا تاريخيا، لايهرب في الواقع من مجابهـة المجتمع أو الحياة الحديثة، إنه يتناول التاريـخ وعينه على الحاضـر، ففـي التاريخ كنوز ثمينة مـن التجارب الإنسـانية العامة الشاملة التي لا تموت بمرور السنين، إنها قضايا الماضي والحاضر والمستقبل... والتاريخ فيه قضايا متجددة هي قضايا كل عصر[1].

وحاول الكيلاني ترجمة هذه الرؤية التاريخية من خلال روايات عديدة تناولت عهودا مختلفة وشاملة لكل العصور والأمم الإسلامية، وقد حصر اهتمامه في التاريخ الإسلامي والبلدان الإسـلامية، دون الالتفات إلى عهود أخرى، كالعهد الفرعوني، كما صـنع كتاب الرواية التاريخية الآخرون الشـيء الذي يضـفي على الكيلاني سمة التخصص في مجال الرواية التاريخية الإسـلامية، إذ ظل هاجسـه دوما هو الإسـلام وموضوعه هو المسلمين في جهادهـم ودعوتهم وبناء مجتمعهم ومقاومتهم لكل مظاهر الظلم والطغيان المسـلطة عليهم من حكامهم ومن أصـحاب الملل الأخرى قديما وحديثا. وذلك من خلال روايات: نورالله، ودم لفطير صهيون، ورمضان حبيبي، وعمر يظهر في القدس.. وغيرها.

ومـن المجال التاريخي عمد الكاتـب في أعمال أخرى إلى الاحتكاك مباشـرة بالواقع الاجتماعي والسياسـي المعيش، وخاصة خلال الحقبة الناصـرية التي ظلت تشكل خلفية بيئيـة في أغلـب أعمالـه الروائية، ولجـأ إلى اصـطناع أحداث وشخصـيات مـن خياله الخصـب، ودفعها إلى الاحتكاك بالواقع بمختلف تعقيداته وتناقضاته، ليخلص إلى صوغ خطاب التزامي واقعي واجتماعي ينهل من الرؤية الإسـلامية، ويقدم المبادئ الإسـلامية حلولا لكافة المشاكل التي يتخبط فيه واقعنا المعاصر.

وطغى على رواياته في هذه الفترة، النبرة السياسية التي هيمنت على مجمل الأحداث والشخصـيات الروائية، ووجد الكاتب في تصوير مختلف مظاهر الصراع السياسي التي قامت على عهد عبد الناصر، وتداعياتها الاجتماعية والنفسية على أبطال الروايات دون أن يهمل القضايا والمشاكل الاجتماعية الأخرى الخاصة بتصوير معاناة الناس وخضوعهم لأشكال من الحيف والحرمان والحاجة والفقر، وصراعهم من أجل لقمة العيش.

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي.م.س: ص: ١٠٣

وصور الكيلاني كل ذلك من خلال عدسة الكاتب الملتزم الإسلامي، والذي يرى دوما في المبادئ الإسلامية خير منقذ للناس من ترديهم في مهاوي التخلف والحرمان والجهل والاستبداد. ومن أهم أعماله في هذا السياق حكايات جاد الله، والذين يحترقون، وثنائية عبد المتجلي.

وعلى العموم يمكن إجمال أهم المكونات الفنية والتصورية لكتاب هذا الاتجاه الالتزامي الإسلامي كما عكستها أعمالهم الروائية في النقط التالية:

١- ارتباط روائيي هذا التيار – شأنهم في ذلك شأن روائيي التيارات الأخرى – بتصوير قضايا الواقع والمجتمع، لكن الذي ميزهم عن غيرهم من روائيي التيارات الأخرى، هو صدورهم عن رؤية إسلامية واضحة تستمد مقوماتها من النصوص المقدسة (القرآن والسنة)، ومن اجتهادات علماء الأمة وإجماعهم؛ ومن نظرتهم الذاتية المتفاعلة إيجابا مع عقيدتهم.

٢- تصويرهم لكافة مظاهر الصراع بين قوى الخير والشر، وانتصارهم للقيم النبيلة الخيرة التي يرونها نزعات أصيلة في الإنسان وجب نفض الغبار عنها لتجليتها ودفعها لأداء دورها الإيجابي في الحياة.

٣- معالجتهم لقضايا الواقع والمجتمع انطلاقا من نظرة شمولية تعم كل مكونات الإنسان وحاجياتها المادية والعاطفية والروحية، دون تغليب جانب على آخر، ما دامت الرؤية الواقعية الإسلامية تقر أن الإنسان ليس عقلا فحسب، وليس مادة فحسب، بل هو روح ومادة وعقل وما وراء العقل، وواقع وحقيقة. ويؤكد د. أحمد بسام ساعي أن كلا من الواقع الأرضي والمادي والحقيقة السماوية العليا، يتعاضدان لقيام الواقعية الإسلامية في الأدب، كما أن مفهوم الواقعية الإسلامية يتجلى أيضا في ذلك الرباط السليم بين الأرض والسماء، بين الطبيعة والمحسوسات[1].

٤- ومن ثم كان اهتمام الروائي المسلم، بحاجات الإنسان المادية، بقدر اهتمامه أيضا بحاجاته الروحية، فتوسعت حينئذ رقعة الحياة لديه فاتصلت السماء بالأرض،

(١) م. س. ص: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد.

والدنيا بالآخرة، وحاجيات الفرد بحاجات الجماعة، فلا الفردانية تطغى على الروح الجماعية، ولا الجماعية تهمش الفرد وتقصي دوره وتطلعاته لحساب الجماعة، بل لكل طرف دوره وحضوره في معترك الحياة.

٥- تسليط الضوء على الجانب الديني، وأثره في تقويم حياة الناس، وضبط سلوكهم، ودفعهم نحو بناء مجتمع فاضل، تسوده قيم المساواة والعدالة والحرية، وتصوير الشخصية المتدينة تصويرا فنيا إيجابيا يرقى بها إلى مستوى الوعي الديني الإيجابي الذي تحمله، وفسح المجال للشخصيات المتدينة شأن شيخ المسجد أو طالب الأزهر أو أي شخصية أخرى ذات توجه ديني، لتمارس دورها الإيجابي الفعال في المجتمع. وهذا خلاف ما وجدنا عليه الأمر لدى كتاب التيارات الأخرى التي حرصت على تغييب دور الدين في حياة الأفراد والمجتمع. وإن اضطرت أحيانا إلى تصوير شخصيات متدينة فعلى نحو من السلبية والتهميش كما هو الأمر عند الشرقاوي ونجيب محفوظ وغيرهما.

٦- التزامهم أيضا، الصدق الفني في إبراز الظروف الموضوعية ووصفها، وعدم الاقتصار على تصوير الشخصيات السوية والموضوعات الإيجابية فقط، بل تقديم قراءة نقدية موضوعية شاملة لكل الموضوعات والمواقف والشخصيات الخيرة منها والشريرة، المتدينة منها وغير المتدينة، على نحو يؤكد الرغبة في تقديم رؤية متكاملة للواقع وقضايا المجتمع، ولكن دون تضخيم عنصر الشر، أو ترجيح كفة ذوي المواقف المنحرفة. وإن كانت الرواية الإسلامية، غالبا ما تميل في نهاياتها إلى تغليب عنصر الخير، وترجيح كفة الشخصيات الإيجابية المستقيمة، بل ودفع الشخصيات السلبية والمنحرفة إلى مراجعة مواقفها، وفتح باب التوبة والأمل والتفاؤل أمامها، مما يحيل العمل الروائي الإسلامي عالما زاخرا بشتى القضايا والمواقف المادية منها والروحية التي تتناغم فيما بينها لتقدم لنا حقيقة الشخصية الإسلامية المتكاملة خلاف كتاب التيارات الأخرى التي ركزت فقط على الجوانب المادية لشخصياتها.

٧- انفتاحهم على مستوى الصياغة الفنية على أغلب المذاهب الأدبية دون التقيد بمقاييس أوقواعد فنية وشكلية محددة على نحو يؤكد لنا بأن مسألة اختيار الشكل الفني

متروكة لمزاج الكاتب وميولاته الذاتية، مع مراعاتهم لطبيعة المضامين الإسلامية التي تأبى على الكاتب الإسلامي محاكاة بعض الأساليب الموغلة في الغموض والتعقيد، والأساليب التي يولع أصحابها بالمبالغة في تصوير الشر ومظاهر البؤس في نبرة سوداوية متشائمة، أو الأساليب التي يعنى فيها الكاتب بوصف مظاهر الانحراف الخلقي والجنسي في لغة كاشفة ساقطة ومغرية. مع محاولة الاستفادة أيضًا من أهم الأساليب الحكائية التراثية وخاصة منها القصة القرآنية وقصص السنة النبوية.

لكن حماس كتاب الرواية الالتزامية الإسلامية، وسعيهم الدؤوب نحو إقناع القارئ بمدى جدية هذه الرؤية وجدواها في إعادة بناء الواقع، ساهما – أحيانًا – في تسطيح رؤيتهم الفنية، ودفعهم نحو افتعال أساليب فنية تقليدية تكاد تفتقر في أغلبها إلى أهم سمات التحديث والتوظيف الفني الناجح للتقنيات السردية المختلفة. ونحن نرى هذا، أمرا عاديا، بالنسبة للروائي الملتزم، الذي نظر إلى الرواية باعتبارها أداة ووسيلة دعائية لتمرير خطاب فكري وإيديولوجي معين، فكان من الطبيعي، أن يكون اهتمامه بالجانب الفني متخلفا عن اهتمامه بالجانب الفكري، إذ ظل أغلب الروائيين مهووسين بالدور الاجتماعي للعمل الروائي، لهذا فلا عجب إن وجدنا أغلب تقنيات الرواية التقليدية هي المهيمنة على الصياغة الفنية لأعمالهم الروائية، وذلك من قبيل اللجوء إلى تقنيات الراوي العليم بكل شيء، والسرد المباشر المثقل بالمقاطع الوصفية (غير الوظيفية) للعالم الخارجي وللشخصيات والأمكنة، مع حشو السياق السردي بكثرة الاستطرادات التقريرية، والتعقيبات الخطابية المباشرة، فضلاً عن العناية الكاملة بتجويد لغة تعبيرية منمقة بلاغيًا.